لسانيات النص وآفاق قراءة النص القرآني

ملخص البحث: يسعى هذا المقال إلى البحث في جدوى وإشكالية المقاربة النصية اللسانية للنص القرآن. فهل يتعارض تطبيق مقاربة النص القرآني بهذه المقاربات الجديدة مع خصوصيات النص القرآني ومقاصده؟ وماذا يفيد تطبيق هذه المقاربة اللسانية النصية على النص القرآني في الوصول إلى دلالاته وتقديم قراءات جديدة حوله؟ وهل في التراث التفسيري والبياني للقرآن ما يشبه هذه المبادئ والأسس التي أرستها لسانيات النص؟

وفي سبيل الإجابة على تلك الإشكاليات قمنا في هذا البحث بالتعريف بلسانيات النص، وبيّنا مظاهر التماسك والانسجام في النص القرآني وانسجامه بالوسائل والأدوات التي نظَّرت لها لسانيات النص، كل ذلك في ضوء الجهود التراثية، في علمي البيان والإعجاز، التي قدّمت قراءة شاملة للنص القرآني، حيث رأت أن أسراره وإعجازه وبيانه إنما يتجلّى حين النظر إلى النص القرآني برمته، ولا تهمل فيه أي جزئية.

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، القرآن الكريم، النص، النصية، القراءة، الوحدة البنائية، الاتساق، الانسجام.

Abstract : This research aims at fetching for the importance as well as the poroblematic of the textual linguistic approach of the Curanic text. Does the application of approching the Curanic text oppose to those new approches within its characteristics and in tentions ? what useful in applying this new lingustic textual approach on the Curanic text so as to provide some new readings ? Are there some principals in the patrimory of explaining the Curan that are similar to those stated by the text linguistics ?

In order to answer those raised problematics, we did first define the text linguistics and explicit the phenomena of cohesion and coherence in the Curanic text through some means and devices studied in this feeld and by refering to some patrimonial efforts in whats knows as : The Curan Sciences in general. This has presented a so general reading of the Curanic text as it consists of a set of mysteries in literary.

Key-words : Text- linguistics, Holy Curan, Textuality, Text, Reading, Cohesion, Coherence.

مقدمة.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد؛

إن من مظاهر إعجاز النص القرآني أنه كان وما زال محط مدارسة منذ أن نزل وإلى اليوم، لم تتوقف يوما ما، ولم يصل فيه دارسوه إلى نقطة النهاية، فإذا كان كلام الله تعالى لا ينفذ ولو كانت البحار مدادا لها، فمن باب أولى أن معانيه وأسراره ولطائفه لا تنفذ هي الأخرى.

فالقرآن الكريم نص حافل بالعطاءات الجمّة، ولقد حاول الدارسون لهذا النص المقدس، قديما وحديثا، ومنذ نزوله الغوص في بنيته، يحذوهم في ذلك هدف الوصول إلى معانيه ودلالاته الظاهرة والخفية، وآملين من وراء ذلك إلى تبيان أسراره وأوجه إعجازه الذي تحدى به الله تعالى الثقلين من الإنس والجن.

والخطاب القرآني هو كلام الله تعالى، أنزله بكلام عربي مبِين وفق معهود كلام العرب في كلامها؛ في الألفاظ والأساليب، وجاء يتضمن مقاصد عليا؛ متنوعة ومختلفة، ولغته بلغت غاية في العلو البياني والبلاغي، بحيث تقف القدرة البشرية عاجزة عن مضاهاتها، في شكل من أشكال التحدي والإعجاز.

وأعتقد أنه في ضوء الفكرتين السابقتين، انصبت جهود علماء البيان والإعجاز القرآني في دراستهم للنص القرآني، أي البحث عن مظاهر الإعجاز القرآني في ضوء أساليب العرب في كلامهم، ولقد كانت الغاية التي بلغتها تلك المدارسة، أنها استطاعت أن تشير إلى فساد النظرة التجزيئية لأجزاء النص القرآني، وبدأت في وضع مقاربات للنص القرآني من شأنها أن تحقق للنص القرآني وحدته البنائية.

إن هذه الوحدة البنائية للنص القرآني هي بنظرة أخرى، موضوع لسانيات النص، أحدث فروع اللسانيات، التي تدرس النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وتسعى إلى أن تبحث فيما يحقق لنص نصيته، من خلال أدوات، لعل أهمها: التماسك والترابط وأنواعه وأدواته، والسياق النصي ودور المشاركين في النص عند إنتاجه وتلقّيه، سواء كان النص منطوقًا أو مكتوبًا.

فهذا البحث يهدف إلى التحقّق من صلاحية مقاربة النص القرآني بوسائل وأدوات لسانيات النص، ومدى أهمية هذه المقاربة في خدمة النص القرآني، ويسعى إلى تجلية جهود علماء البيان والإعجاز القرآني في ذلك. وذلك من خلال الخطة التالية: المبحث الأول: وأخصصه للتعريف بلسانيات النص، والمبحث الثاني: وأتناول فيه نبذة عن نشأة وتطور المبحث اللغوي القرآني في التراث، والمبحث الثالث: وأخلصه لمظاهر التماسك في النص القرآني في ضوء لسانيات النص وجهود علماء القرآن وبيانه وإعجازه.

أولا: لسانيات النص؛ مقاربة جديدة في الدرس اللّساني.

تطور الدرس اللساني في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين تطورا ملحوظا، ومن أحدث الموضوعات التي تتخذ منها اللسانيات موضوعا لها اليوم، هو "النص"، فلقد ظهرت في العقود القليلة الأخيرة مراجع غزيرة تهتم على نحو علمي بالنصوص، طوّرت فرعا ناشئا من اللسانيات، يسمى لسانيات النص، وأحيانا أيضا علم النص أو نحو النص أو نظرية النص.

وقبْل لسانيات النص، كانت الجملة أقصى ما يدرسه النحويون، لقولهم: «إنّ الجملة هي أكبر وحدة مستقلة»، إلا أنه وجد من العلماء من يرفض هذا القيد المقتصر على دراسة الجملة، ويسعى إلى دراسة الوحدة الممثلة لتتابعات من الجمل والتي عرفت فيما بعد بـ: (النص Text).

1)– مفهوم لسانيات النص، نشأتها وتطورها ودوافعها: لقد تعددت تعريفات علماء اللسانيات لمفهوم هذا المصطلح، وجميعها لا تخرج عن الأشكال اللغوية التي تحكم بناء كل أشكال النص، ويمكن تحديد مفهوم مصطلح "لسانيات النص" على أنه: «العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها؛ مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه»[1].

فلسانيات النص هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص من حيث كونه الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية (Reference) وأنواعها والسياق النصي (Text Context) ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء[2].

وتحدّد "لسانيات النص" لنفسها هدفا يتمثل في تحديد الملامح والسمات المشتركة بين النصوص ووصفها وتحليلها استنادا إلى معايير مختلفة، والكشف عن أوجه الاختلاف والفروق الدقيقة بينها[3].

وأهم ملمح في لسانيات النص أنه علم غني متداخل الاختصاصات يشكِّل محور ارتكاز عدة علوم، ويتأثر دون شك بالدوافع ووجهات النظر والمناهج والأدوات والمقولات التي تقوم عليها العلوم. فبعدما أضحى الاعتماد على الأبنية اللغوية وحدها عاجزا عن تفسير النص بدقة، ظهرت الحاجة للاستعانة بعناصر خارجية غير لغوية لم يكن التحليل القائم على الجملة يعرفها، كربط النص بالسياق الاتصال وتأثيره في المتلقي، لذا فمهمّة هذا العلم هي: «أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال ويوضّحها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي...والكشف عن الخصائص المشتركة وسمات الأبنية والوظائف»[4].

ويشير مؤرّخو اللّسانيات[5] إلى أن الاتجاه إلى لسانيات النص قد بدأ يعرف وجوده مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك حين نشر "زيليغ هاريس Zellig Harris" دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في اللسانيات الحديثة تحت عنوان (تحليل الخطاب سنة 1952)، وكان هدفه من هذه الدراسة اكتشاف بنية النص. وقد أطلق "هاريس" على نمط هذه الدراسة "النهج المجاوز للجملة"، الذي اهتم فيه بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، كما اهتم بالربط "Link" بين النص وسياقه الاجتماعي.

ويُعدُّ "تون فان دايك T.A.Van Dijk"، من بين أشهر اللسانيين الذين أرسوا دعائم لسانيات النص، فلقد بدأ "فان دايك" ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، وذلك في كتابه " Some Aspects of Text Grammar" سنة 1972، ودعا إلى اتباع طرق جديدة في تحليل المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية للنص، منها الوقوف على ما يعتريه من إضافة أو حذف أو ذكر أو استبدال. وبهذا يكون "فانداياك" قد خرج بالنحو من الانكفاء على دراسة البنية الصغرى ممثلة في الجملة، إلى العناية ببنية أكبر هي النص[6].

وأفاد "دايك" من جل الملاحظات السريعة، والآراء المتفرقة التي لم توضع في نسق منهجي يحدد لنا طبيعة الدور الذي يقوم به النحو في هذا النوع من الدرس النقدي، في كتابه الثاني: "النص والسياق Text and Context" سنة 1977، الذي أوضح فيه مقاصد اللسانيات بصفة عامة[7]، كما اهتم فيه بشكل خاص بالسياق.

ثم تتابعت اهتمامات علماء اللغة والعلوم بأبحاثهم ودراساتهم في تأكيد هوية "لسانيات النص" وبيان خصائصه ونظرياته وأهدافه، وقد توّج ذلك على يد "هاليداي Halliday" سنة 1973، الذي رسَّخ مفاهيم لسانيات النص في اللسانيات البريطانية، ثم ظهر كثير من الباحثين الذين عَنَوا بهذا الاتجاه عناية فائقة، فقدَّموا دراسات وأبحاثا أدّت إلى تطور هذا العلم بحيث إنّه لا يقتصر على دراسة النص (Texte) فحسب، بل يسعى إلى دراسة بيئته والثقافات المتّصلة به ومعارفه المختلفة، وإلى غير ذلك من العلوم المتصلة بالنص[8].

ولقد أدّت دوافع عديدة ومختلفة إلى تبلور هذا الاتجاه الجديد من الدّراسات اللّسانية فثمّة أسباب من داخل الموضوع من جانب، لفتت النظر إلى النّص؛ حيث يوجد عدد كبير من الظواهر اللغوية فُضِّلَ أن يوضَّح نحوها مقتصرا على الجملة فقط (مثل اختيار الأداة، ووضع عنصر الجملة، وأوجه الإضمار، وأوجه الظرفية البديلة، ونحو ذلك)، في حين أنّ البشر عندما يتواصلون لغويا لا يمارسون ذلك في جمل مفردة منعزلة بل في تتابعات مجاوزة للجملة مترابطة (متماسكة).

ولا تدرك النصوص في ذلك أساسا بوصفها أفعال تواصل فردية، بل بوصفها نتائج تفاعلات متجاوزة الإفراد (أبنية منطوقة بين الذوات). ويعني هذا أنّ كلّ تحليل لغوي يجب أن ينطلق من النص، لكونه مجال الدرس، وهذا ما دعا إليه "فاينريش Veinrich" سنة 1967[9].

ومن جانب آخر كانت هناك متطلّبات من خارج علم اللغة (وبخاصة من مجالات تطبيقية، مثل المعالجة الآلية للغات طبيعية، وتدريس اللغة، وآلية عمليات الترجمة، وتثقيف الوسطاء اللغويين، ومعالجة المعلومات والتوثيق...إلخ) تؤثِر أو حتى تقتضي هذا التوجه إلى النص. فقد نشأت فرضية ألا تعدّ الجملة، كما هي الحال في الغالب إلى الآن، بل النص أعلى وحدة لغوية، لأنّ النص يقع في صدارة الأنظمة اللغوية الجزئية[10].

وترتبط نشأة لسانيات النص باتجاهات تطور عامة للسانيات، وبخاصة مع الاتجاه البراجماتي–التواصلي، الذي بدا يتبلور منذ سنة 1970 تقريبا، في اللسانيات، أي مع تحوّل ملاحظ عالميا عن لسانيات نظامية محضة، وتوسيع مرتبط بالتوجه إلى التواصل لمجال موضوع اللّسانيات، لم يتجل في الاشتمال على ظواهر خارج النظام فحسب، بل في نشوء تلك الفروع الجديدة أيضا مثل اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، ولسانيات النص، ونظرية الفعل الكلامي[11].

ومن البديهي أن ذلك التغير في توجه اللسانيات يوافق الوظيفة الطبيعة للغة، ويناسبها مناسبة شديدة للغاية، إن اللغة ليست غاية لذاتها، بل هي أداة للتواصل الاجتماعي. وقد بعث في التوجه إلى النص بصورة زائدة الوعيَ الأكثر إصرارا باللغة بوصفها وسيلة اتصال اجتماعية، إذ لا ينجز التواصل، حين يكون لغويا، دائما إلا في نصوص، وليس في جمل أو في مفردات مستقلّة. ومن المؤكّد أنّ اللّسانيات قد عثرت من خلال ذلك على نقاط بحثية جديدة لدراسة الحالات التي لم يكن من الممكن وصفها على مستوى الجملة، ومع ذلك لا يجوز أن يستنتج من الفرضية العامة جدا بأنّ يحل النص محل الجملة بوصفه أعلى وحدة لغوية أنَّ نحو الجملة قد استُبعِد كليّة، وكذلك لا يجوز أن يستنتج من ذلك أن الجملة والنص يمكن أن يلحقا بعضهما ببعض على المستوى ذاته نحو الكلمة والجملة مثلا[12].

2)– موضوع لسانيات النص: تسعى لسانيات النص إلى دراسة النص المنجز فعلا من حيث هو بنية كليّة موضوعة في مقام ما أو سياق ما، لذا فقضيته الكبرى هو تحديد القواعد الكبرى التي تعترف للنص بنصيته. ولقد اتجهت لسانيات النص في أبحاثها نحو وضع قوانين عامة تحكم النص بوجه عام، والنص الأدبي بوجه خاصٍّ، وفيما يلي أهم العناصر التي تهتم بها لسانيات النص:

1– إثبات نصية النص: قبل أيِّ تحليل نصي، فإنّ لسانيات النص تبدأ أولا في إثبات نصية نص ما من عدمها، فهي تفيدنا في التفريق بين ما هو نص يُعتمد في الدراسة والوصف والتحليل وما هو ليس بنص، فعليها أن

تكشف مدى ترابط النص والتحام أجزائه وتعالق وحداته لتشكل وحدة كلية شاملة، أو يبين عدم الترابط والالتحام بين هذه الأجزاء والوحدات، حيث يرى "دي بوغراند De Beaugrand" أنّ العمل الأهمّ للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصيّة من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتّخذة من أجل استعمال النص[13].

ولقد أجمل "دي بوغراند" خصائص النص في تعريفه حيث قال: إنَّه حدث تواصلي يلزم لكونه نصًّا أن تتوفَّر له سبعة معايير للنصيَّة مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلَّف واحد من هذه المعايير[14]، وهذه المعايير هي: السبك (Cohesion) أو الربط النحوي، والحبك (Coherence) أو التماسك الدلالي (وترجمها تمَّام حسَّان بـ: الالتحام)، والقصد (Intentionality)، أي الهدف، والقبول أو المقبولية (Acceptability)، وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النَّص، والإخبارية أو الإعلامية (Informativity)، أي توقُّع المعلومات الواردة فيه وعدمه، والمقامية (Situationality)، وتتعلَّق بمناسبة النَّص للموقف، والتناص (Intertextuality)[15].

2- التماسك النصي: تسعى لسانيات النص إلى تحليل الخواص التي تؤدّي إلى تماسك النص وانسجامه، وتعطي عرضا لمكوناته التنظيمية النصية، ولهذا فقد حظي الترابط ووسائله بكثير من الاهتمام في حقل الدرس اللساني المعاصر. وينشأ التماسك في النص من خلال ثلاث عناصر أساسية تؤدّي، بتوفرها، إلى اتساق النص وتلاحمه، ذكرها "دي بو غراند"، وتتمثل في: الربط الرصفي، والربط المفهومي، والربط التداولي، وفيما يلي توضيح لهذه العناصر[16]:

- الربط الرصفي: ويعدّ اللسانيان "هاليداي" و"رقيّة حسن" من بين أشهر من اضطلع بهذا النوع من الربط في كتابهما المشترك "الاتساق في اللغة الإنجليزية"[17]، ويقصد به تلك الوسائل النحوية والصرفية والمعجمية، التي تساهم في تحقيق وحدة النص وإعطائه نسيجه، وينتج الترابط الرّصفي من خلال: الاستبدال، والحذف والوصل، والإحالة بنوعيها، السابقة، واللاحقة، وتتمثل كذلك في الاتساق المعجمي (ويشمل التكرار والتلازم اللفظي)، وغيرها.

- الربط المفهومي أو الدَّلالي للنص: وينتج عن اتحاد السمات الدلالية في الوحدات النصية المختلفة بوصفها عناصر النص المتحاولة (المشتركة في الإحالة)، وينتج عن علاقات التناظر Isotopie (التكافؤ بالمفهوم الأوسع) بين وحدات المعنى المفردة، وفضلا عن ذلك من خلال تطابق الإحالة (بوصفه حالة خاصة للانسجام الدلالي)، و/أو من خلال علاقات شبه منطقية، وكذلك من خلال موضوع مشترك (بوصفه تحديدا لتماسك النص).

ومن خلال التماسك الدلالي تفترق نصوص عن بضع أشباه النصوص (مثل المعجمات ومجموعات الاقتباس)، ومن الصعوبة بمكان الإحساس بأن نصوصا بلا تماسك دلالي صحيحة، ولكن التماسك الدلالي ليس إلا شرطا ضروريا غير أنه غير كاف لتكوين النص[18].

– الربط التداولي للنص: وهو الأساس البراغماتي–التواصلي، وهو ما عبّر عنه "دي بوغراند" بالخطط، والأعمال، والأغراض[19]، وهو يمثل ما يكون ثاويا فيما وراء اللغة، وهذا العنصر هو الآخر من الأهمية بمكان، لأن تماسك نص ما لا يمكن أن يوضَّح نحويا ودلاليا فحسب، بل لابد من توافر الربط التداولي، وذلك لأن التفسير الدلالي لجملة ما في مواقف تواصلية يتوقف على المعرفة التجريبية وفروض مسبقة مشتركة ومعلومات إضافية (غير لغوية) أخرى لشركاء التواصل[20].

ثانيا: من مظاهر تماسك النص القرآني في ضوء لسانيات النص وجهود علماء البلاغة والبيان.

كان البحث في لغة القرآن في المصنفات التراثية مشتتا وموزعا بين علوم متعددة، فكل مُصَنِّفٍ يأخذ مستوى من مستويات الدرس اللغوي للقرآن ويدرسه على حدة، ولا نجد في القرون الأولى إلا إشارات بسيطة لا تكاد تؤثّر في وضع منهج يكون شاملا للدرس اللغوي برمته تنصهر في بوتقته كل المستويات اللغوية، وهذا ما أسهم في غياب تحقيق وحدة بنائية للقرآن[21]، مما انعس بالتقصير في قراءة النص القرآني.

وقد انتقد العلاّمة "الفراهي"(1280هـ1349هـ) هذا المنهج في قراءة القرآن وتفسيره، وسماه بمنهج "التعضية"، وبيّن خلل منهجهم هذا ووهنه، فقال: «ولن تجد لغفلة هؤلاء أو ضلّة هؤلاء سببا إلا أنهم جعلوا القرآن عضين وجزروا نظمه الحكيم جزرا، وقد أنزله الله متشابها مثاني يفسّر بعضه بعضا محكما قيّما لا عوج فيه ولا بترا، وهل يرشد في مساق تأويله من جهل تنزيله، كلاّ بل يعثر في كل خطوة عثرا...»[22].

ولا نجد إلا الدراسات البلاغية والبيانية خاصة في القرون المتأخرة، وخاصة على يدي "عبد القاهر الجرجاني"، و"الزركشي" التي أشارت إلى مسألة الوحدة البنائية للنص القرآني، ونرى هذه النظرة أكثر شمولا واتساعا ووضوحا في جهود "الفراهي" في كتبه حول علوم وتفسير القرآن، فقد كانت جهوده تصب في وضع منهج لوحدة بنائية للنص القرآني، من خلال البحث في تماسك وانسجام النص القرآني بمختلف الوسائل اللغوية (نحوية وصوتية، ودلالية)، وغيرها، مما نجد له اقتربا من لسانيات النص. وهذا ما سنعمل على تجليته في المبحث التالي.

ولقد اجتهد لسانيو النص في وضع ما يمكن أن يحقق للنص نصيته، وذلك من خلال تحديد كل ما يسهم في انسجام النص وإحكام بنيته، وما يسهم في تفسير النص. وقد أعطوا في كل ذلك الأهمية لكل من منتج النص والمتلقي.

فمحلل الخطاب عليه أن يضع في اعتباره كل هذه الأمور في تحليله للنص/الخطاب، بالإضافة إلى ضرورة أن يتوخى، كما ذهب إلى ذلك "براون" و"يول"، نهجا مقاصديا في دراسة اللغة كما هي مستعملة، ومن شأن هذا المنهج أن يتعرض بالدرس إلى عدد من الموضوعات التي منها السياق الذي ورد فيه مقطع من الخطاب[23].

1)– السبك في النص القرآني: يعد السبك (Cohesion) من أهم المعايير النصية السبعة التي وضعها "روبرت دي بوغراند"، لأنه هو الحبك (Coherence) أكثر المعايير اتصالا بالنص في ذاته، حيث يعملان على تفسير النص وفهمه. فالسبك ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من نص كامل. فمعيار السّبك مرتبط بالعلاقات النحوية والمعجمية بين العناصر الشكلية للنص التي تؤدي إلى التواصل والتتابع الرّصفي والترابط بين أجزاء النص من خلال تعاقبها أو تواليها الزمني[24].

ويرى الباحثان "هاليداي" و"رقيّة حسن" أنّ: «لوسائل السّبك دور مهمّ في خلق النص، ويتحقّق السبك من خلال وسائل لفظية تعمل على تماسك النص، والتئامه واستمراريته المتحققة في ظاهر النص»[25]، وتأتي وسائل السبك في مستويات صوتية وصرفية وتركيبية ومعجمية ودلالية، هذه المستويات دمجها نحو النص في التقسيم التالي: وسائل نحوية؛ وتتضمن: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والإسناد والتبعية، ووسائل معجمية؛ وتتضمن: التكرار والتضام، ووسائل نحوية–معجمية؛ وتتضمن: الوصل الإضافي، والوصل العكسي، والوصل السببي، والوصل الزمني[26].

ومما يفيده السبك في النص؛ اختصار النص وتفادي التكرار غير المفيد، باستعمال الضمائر والإحالة، ويعمل على اتساق النص، كما يعمل على إبراز دور المعنى المقصود للمفردات المعجمية، وتفادي الالتباس الدلالي، ويساهم السبك كذلك في إثبات نصية النص.

ولقد اعتنى علماء القدامى بمظاهر السّبك في النّص القرآني، وهو أكثر من أن يحصى عندهم، خاصة عند علماء القرآن، وعلماء البلاغة والبيان.

فـ"الطبري"(ت310هـ)، من المفسرين، اعتنى بمسائل الفصل والوصل، وجعل أغراض الوصل في: الوصل لأمن اللبس، أو الوصل للتمييز تشريفا، أو الوصل لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل: مما نجده في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[27].

وقد حدّد "الطبري" أغراض الفصل في: إيضاح المعنى وبيانه، التفصيل بعد الإجمال، الاستطراد، الاستئناف، إجابة عن سؤال مقدر[28]. ولقد كانت دراسته للوصل والفصل في ثنايا تفسيره، دراسة ذكيّة خاصّة في حديثه عن أغراضها، فقد عمل على تأويل الحروف الرّابطة ووظائفها، وهو في هذا يقترب مما قدّمه "فانديك" عن الفصل والوصل، إلا أنّ "فانديك" حصر الفصل بأداة العطف "أو"، كما ربط كل ذلك بالمنطق الصُّوري وأسلوب التجريد[29].

وتحدّث "الباقلاني"(ت402هـ) عن النظم والتأليف وبديع الرصف، في تحليله لـ"سورة النّمل"، يقول: «ثُمَّ أُنْظُرْ فِي آيَةٍ آيَةٍ وَكَلِمَةٍ كَلِمَةٍ، هَلْ تَجِدُهَا كَمَا وَصَفْنَا مِنْ عَجِيبِ النَّظْمِ، وَبَدِيعِ الرَّصْفِ؟ فَكُلُّ كَلِمَةٍ لَوْ أُفْرِدَتْ كَانَتْ مِنَ الجَمَالِ غَايَةً وَفِي الدَّلاَلَةِ آيَةً...ثُمَّ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى قِصَّةٍ، وَمِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ، مِنْ غَيْرِ خَلَلٍ فِي نَظْمِ الفَصْلِ وَالوَصْلِ، وَحَتَّى يُصَوِّرَ لَكَ الفَصْلَ وَصْلاً بِبَدِيعِ التَّأْلِيفِ وَبَلِيغِ التَّنْزِيلِ»[30].

ويقوم "الباقلاني" بتفسير انسجام الآيات رغم تباعد مواقعها، فيقول: «وَهِيَ خَمْسُ كَلِمَاتٍ مُتَبَاعِدَةٌ فِي المَوَاقِعِ، نَائِيَةُ المَطَارِحِ، قَدْ جَعَلَهَا النَّظْمُ البَدِيعُ أَشَدَّ تَأَلُّفًا مِنَ الشَّيْءِ المُؤَلَّفِ فِي الأَصْلِ، وَأَحْسَنَ تَوَافُقًا مِنَ المُتَطَابِقِ فِي أَوَّلِ الوَضْعِ»[31].

ونجد لوسائل السَّبك في النَّصِّ القرآني حضورا بارزا عند "الجرجاني"، فقد عالج قضايا عدة كالحذف والتكرار والوصل والفصل والإضمار والإحالة وكذا الإيحاء، بالإضافة إلى ربط الآخِر بالأول، مما يجعل البنية الكلية للنص وحدة كاملة متماسكة الأجزاء متعالقة الوحدات، وقد أصبحت هذه العناصر من صميم الدّراسات النّصيّة المعاصرة.

وهذا العمل "للجرجاني" قد تبلور في شكل نظريّة قائمة بأصولها، باتت تعرف بنظريَّة "النّظم"، وبها قد أرسى اللبنات الأساسيّة الأولى لمفاهيم نظرية للنص لم تتجسَّد وتتبلور إلا في العصر الحديث.

وقد أخلص "الجرجاني" جهده في كتابه "دلائل الإعجاز" ليبيّن مفهوم الدلالة النحوية، واجتهد فيه ليبيّن أن ترتيب الألفاظ والتراكيب حادث في ضوء قواعد النحو خدمة للمعاني في النص، حيث يقول: «وَاعْلَمْ أَنْ لَيْسَ النَّظْمُ، إِلاَّ أَنْ تَضَعَ كَلاَمَكَ المَوْضِعَ الذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ، وَتَعْمَلَ عَلَى قَوَانِينِهِ، وَأُصُولِهِ، وَتَعْرِفَ مَنَاهِجَهُ، التِي نَهَجَتْ، فَلاَ تَزِيغَ عَنْهَا، وَتَحْفَظَ الرُّسُومَ التِي رَسَمَتْ فَلاَ تُخِلُّ بِشَيْءٍ مِنْهَا»[32]. وهذا الترتيب خاضع

لمعاني النحو التي لا تخالف المنطق العقلي ولا تخرج عن المقاييس اللغوية المنتهجة في كلام العرب، «فَلَيْسَ النَّظْمُ شَيْئًا غَيْرَ تَوَخِّي مَعَانِي النَّحْوِ وَأَحْكَامِهِ فِيمَا بَيْنَ الكَلِمِ»[33].

فالأمر البارز في نظرية النظم عند "الجرجاني" هو فكرة تعليق الكلم بعضه ببعض وليس هو النظم في حدّ ذاته، يقول "تمَّام حسَّان: «وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب، وإنما هو التعليق، وقصد به...إنشاء العلاقات بين المعاني اللغوية بواسطة ما يسمّى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية»[34].

ويعدّ "الفراهي" من أهم العلماء المحدَثين الذين اهتموا بوسائل الربط اللغوية في النص القرآن، فحاول حصر أهم أنواع الربط النحوية والبيانية في القرآن، وبيّنَ كيف عملت هذه الأساليب على تماسك النص القرآني واتساقه، وقد أبدع فيها أيما إبداع. وقد استند في عمله هذا على أساس متين من سنن كلام العرب الخالص، والتوجيهات الرشيدة للقرآن الكريم.

وقد نبّه "الفراهي" إلى أهمية هذه الأساليب من حيث إنها تعين على فهم المعنى المراد، وترشد إلى تأويل القرآن الكريم لصحيح معناه، وتعصم من الزيغ والانحراف في التأويل وتحفظ عن التفسير بالرأي.

فلقد رأى تضارب آراء العلماء في فهم معنى القرآن وذهابهم في تأويله مذاهب شتى، حتى جعلوه كتابا متشابها ملتبسا، وأدرك أن ذلك لا يرجع إلا إلى عدم تأسيس مبادئ وأسس ثابتة عامة للتأويل يعتمد عليها في كل ما يستنبط من القرآن وما يختار من معانيه المختلفة وما يترك وما يمكن فيه الجمع والتوفيق. وهذا الأمر كان باعثا له على إعادة دراسة أساليب القرآن بمنهجية جديدة[35].

ولم يأت "الفراهي" على ذكر كلّ الأساليب التي اشترك فيها القرآن مع كلام العرب، أي ما كان منها جليًّا بيّنًا، قد تناوله العلماء قبله، ولكنَّه ذكَر منها فقط تلك الأساليب التي تركها الناس أو أخطأوا فيها، والعلم به نافع في فهم القرآن[36].

ومن الأساليب التي جاء ذكرها "الفراهي" في كتابه "أساليب القرآن" ما يلي: القِران والفصل، الخطاب والالتفات، الحذف، العود على البدء، التفصيل بعد الإجمال، ذكر الأثر لما يخفى، وجوه الوصل والفصل، الفصل بين المتصلين، التنكير والتعريف، التكرار، العطف، الترديد، ونحوها، حيث تعرض للتفصيل في سبعة وثلاثين 37 نوعا من الأساليب التي تعمل كلّها على اتساق وتماسك النص القرآني[37].

ففي النوع الذي سمّاه "العَوْدُ على البدء"، مثَّل له بقوله تعالى: «﴿يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأُوفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارهَبُونِ﴾[38]، ثمّ عاد عليه، حيث قال: ﴿يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[39]»[40].

فلا شكّ أنّه بأسلوب "العود على البدء" قد تمّ الربط بين هاتين الآيتين المتباعدتين في سورة طويلة، فهذا الأسلوب هو من أوضح الأساليب التي تعمل على تماسك النص القرآني واتساقه، فهي تشبه إلى حدّ ما الربط بالإحالة.

والنتيجة التي نخلص بها من هذا المبحث هو أنّ وسائل الربط التي تعمل على تماسك النص القرآني واتساقه كثيرة جدّا ومتعددة، ولقد بذل علماء البيان والإعجاز وعلماء القرآن عموما، قديما وحديثا، جهودا مضنية في سبيل حصرها، ولا شك أنها تحتاج اليوم إلى إعادة بعثها وتناولها في ضوء نتائج لسانيات النص، وذلك كلّه سيسهم في فهم النص القرآني وتأويله تأويلا يقترب به إلى الحق الذي أرداه الله تعالى من كلامه.

2)- الحبك في النص القرآني (الربط الدلالي والمفهومي): إذا كان معيار السّبك مختصّا برصد الاستمرارية المتحقّقة في ظاهر النّصّ، فإن معيار الحبك يختص بالاستمرارية المتحقّقة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا وتلقيا واستيعابا[41].

فالحبك في لسانيات النص يعني البنية التحتية لأدوات الربط الظاهرة؛ فهو إذن يتعلق بالعلاقات الدلالية، أو العلاقات غير الظاهرة، فيكون في مقابلة مع السبك الذي يتعلق بالدلالات الظاهرة أو الشكلية.

وإذا كانت وسائل السبك في القرآن ظاهرة وواضحة، حيث اجتهد علماء اللغة والبلاغة في كشفها وتحديدها، كما رأينا في العنصر السابق، فإن مظاهر الحبك ووسائله ما تزال تحتاج إلى مزيد من الجهد لتجليتها. ومما لا شك فيه أن النص القرآني الذي بلغ غاية في البيان والتعبير عن مراد الله تعالى لا يمكن أن يخلوا من وسائل الحبك، التي تربط بين دلالته القريبة والبعيدة، وتسهم في تشكيل وحدته الكبرى، بل إنه يزخر بأنواع وأشكال عديدة من مظاهره.

وبالرغم من القول السابق، فلقد وقف العلماء القدامى من هذه المسألة موقفين متناقضين؛ فالرّأي الأوّل يرى أنّه لا رابط بين السُّور القرآنية، ولا حتى بين الآي القرآني في السُّورة الواحدة، وذلك لاعتقادهم أنّه نزل منجّما، فذلك باعث على عدم ترابط موضوعاته، فقد قال "عزُّ الدِين بن عبد السلام"(577هـ-660هـ): «المُنَاسَبَةُ عِلْمٌ حَسَنٌ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ فِي حُسْنِ ارْتِبَاطِ الكَلاَمِ أَنْ يَقَعَ فِي أَمْرٍ مُرْتَبِطٍ أَوَّلُهُ بِآخِرِهِ؛ فَإِنْ وَقَعَ عَلَى أَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ لَمْ

يَقَعْ فِيهِ ارْتِبَاطٌ، وَمَنْ رَبَطَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ بِمَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلاَّ بِرَبْطٍ رَكِيكٍ، يُصَانُ عَنْ مِثْلِهِ حَسَنُ الحَدِيثِ فَضْلاً عَنْ أَحْسَنِهِ؛ فَإِنَّ القُرْآنَ نَزَلَ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً في أَحْكَامٍ مُخْتَلِفَةٍ شُرِعَتْ لأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لاَ يَتَأَتَّى رَبْطَ بَعْضِهُ بِبَعْضٍ»[42].

لكن الرأي الثاني يرى عكس ذلك، وينكر على الفريق الأول فيما ذهب إليه؛ فبالرغم من أنَّ القرآن نزل منجّمًا إلاّ أنّ الله تعالى الذي رتّبه بحكمته، وهو لا يرضى لكلامه أن يكون بلا نظام، قال الشيخ "ولي الدين الملَّويُّ"(1088هـ1181هـ): «قَدْ وَهِمَ مَنْ قَالَ: لاَ يُطْلَبُ لِلآيِ الكَرِيمَةِ مُنَاسَبَةٌ؛ لأَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الوَقَائِعِ المُفَرَّقَةِ. وَفَصْلُ الخِطَابِ: أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الوَقَائِعِ تَنْزِيلاً، وَعَلَى حَسَبِ الحِكْمَةِ تَرْتِيباً وَتَأْصِيلا، فالمُصْحَفُ عَلَى وَفْقِ مَا فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، مُرَتَّبَةٌ سُوَرُهُ كُلُّهَا وآياتهُ بالتَّوقِيفِ، كَمَا أُنْزِلَ جُمْلَةً إِلَ بَيْتِ العِزَّةِ...»[43].

وإذا بحثنا في تراث القرآن التفسيري فإننا لا نعدم جهودا تحاول أن تعمّق البحث في المسألة "الحبْك" في النص القرآني، فقد حاول علماء البلاغة والبيان وبعض المفسرين، قديما وحديثا، أن يلمُّوا بوسائل ترابط موضوعات القرآن. وحين ننقِّب في أعمال المفسّرين وعلماء بلاغة القرآن فإننا سنجد أن مسألة "الحبْك" في النصّ القرآني قد تبلورت في توجّهين هامين، وهما؛ مسألة "المناسبة" عند "الزركشي"، ونظرية "النظام" عند العلاّمة "حميد الدين الفراهي"، ونضيف إليهما مسألة "التناص"، المثارة من طرف المفسّرين، وفيما يلي تفصيل فيها.

❖ **علم المناسبة:** فالمناسبة نوعان؛ المناسبة بين أجزاء النص القرآني، والمناسبة بين افتتاحية السورة بنهايتها وبتماسكها الكلي الشامل وترابط موضوعها. وأكثر من اهتم بها من العلماء في التراث، "الزركشي"، فقد أولى لها أهمية كبيرة، وعاب على المفسرين قلّة الاعتناء بها. وفائدتها عنده، جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[44].

وقد ذكر للمناسبة أحكاما وضوابط، وفصّل في أنواع ارتباط الآيات القرآنية بعضها ببعض، فإمّا أن يظهر الارتباط بين الآيتين أو الجملتين، لتعلُّق الكلام بعضه بعض وعدم تمامه بالأوَّل، وكذلك إذا كانت الثانية على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد. وإما ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها على خلاف النوع المبدوء به، وفيها قسمان: القسم الأول: أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم، وهنا ما على المفسّر إلا البحث عن الجهة الجامعة بينهما، وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشْكُل وجهُ الارتباط، فيحتاج إلى شرح. والقسم الثاني: ألا تكون فيه الآية معطوفة، وحين ذلك لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط...وتنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني[45].

وذكر "الزركشي" أنواعا مختلفة للمناسبة، منها: التنظير، والمضادة، والاستراط، والتمثيل، وغيرها، وقدّم بين يدي هذه الأنواع أمثلة عديدة لتوضيح ما ذهب إليه[46]. ومن الأمثلة على ما ذكر في القسم الثاني:

– **المناسبة بقرينة التنظير**: ويمثل لذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[47]. يعلّق "الزركشي" قائلا: «فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَمْضِي لأَمْرِهِ فِي الغَنَائِمِ عَلَى كُرْهٍ مِنْ أَصْحَابِهِ كَمَا مَضَى لأَمْرِهِ فِي خُرُوجِهِ مِنْ بَيْتِهِ لِطَلَبِ العِيرِ وَهُمْ كَارِهُون...»[48].

فنلاحظ علاقة النظير، في رأي "الزركشي"، وهي المناسبة التي جعلت تجاور هاتين الآيتين مبررا، وذلك تناظر الحدثين وتماثل رد فعل المسلمين وهو كُره ذلك ومحاجَّة الرسول فيه.

– **المناسبة بقرينة المضادة**: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[49]، وقد شرح هذه المناسبة كالآتي: «فَإِنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ كَانَ حَدِيثًا عَنِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَأَنَّ مِنْ شَأْنِهِ كِيتَ وَكِيتَ، وَأَنَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمْ كِيتَ وَكِيتَ، فَرَجَعَ إِلى الحَدِيثِ عَنِ المُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا أَكْمَلَهُ عَقَّبَ بِمَا هُوَ حَدِيثٌ عَنِ الكُفَّارِ، فَبَيْنَهُمَا جَامِعٌ وَهْمِيٌّ بِالتَّضَادِ مِنْ هَذَا الوَجْهِ...»[50].

إن انتقال الخطاب من الحديث عن المؤمنين إلى الحديث عن الكفار قد جعل بين الآيتين مناسبة هي التضاد، أي بين الآية رقم 6 وبين الآيات التي سبقتها.

ويدخل في المناسبة أيضا: التذييل[51]، وهو ضرب من التعقيب على ما سبق في الآية، والتتميم[52]، وهو إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس وتقربها من الفهم وتتمم المعنى، إمّا مبالغة أو إقرارا أو احتياطا، وغيرها.

❖ **نظام القرآن**: وممّن اعتنى بمظاهر الحبك في القرآن الكريم، العلاّمة "الفراهي"، فقد انقطع فترة طويلة من عمره إلى تدبّر القرآن ودرسه، والنظر فيه من كل جهة، وكان من أعظم ما يركز عليه ترتيب بيانه، وتنسيق نظام آياته، منطلقا من أنّ كلّ ما تقدّم وتأخّر من سوره بُنِي على الحكمة والبلاغة، ورعاية مقتضى الكلام، فلو قدِّم ما أخِّر، أو أخِّر ما قدِّم؛ لبطل النظام، وفسدت بلاغة البيان، فـ"الفراهي" يعتقد أنّ القرآن الحكيم كلام منظّم، ومرتّب من أوّله إلى آخره، على غاية حسن النظْم والترتيب، وليس فيه شيء من الاقتضاب، لا في آياته ولا في سوره، بل آياته مرتّبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم.

وقد أدّاه تدبره هذا في كتاب الله تعالى وحسن قراءته إياه إلى استنباط ما سماه: "علم النظام" وتحديد أصوله، وذلك بعد أن نظر فيما قاله علماء القرآن في التناسب والترابط في كلام الله تعالى (آيات وسوَر)، فوجده غير كافٍ ولا شافٍ، كما يقول، على ما فيه من أهمية "الكشوف الأولى"، ولذلك عمل على تطويره وتعميقه حتى

يجعل منه فنًّا مستقلًا قائما على أصول راسخة وقواعد واضحة مستنبطة من أساليب القرآن وقواعد اللسان، وجاء في نظريته بما لم يهتد إليه أحد ممن سبقه؛ مما يفتح للمتدبّرين في كتاب الله بابا عظيما لفهم أسراره وبلاغته، ويسهل عليهم الانتفاع به علما وعملًا.

وهو يسجّل أن اهتمام السابقين كان منحصرا في الكشف عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام من أوله إلى آخره حتى يصير بها شيئا واحدا، ويرى أنهم قنعوا في ذلك بمجرد بيان المناسبة بينهما، من غير أن ينظروا، في غالب أعمالهم، إلى أمر عام شامل ينتظم به محتوى الآية أو السورة، ومن أجل ذلك ركَّز في "دلائل النظام" على التفرقة بين "التناسب" و"النظام"، منبّها إلى أنّ ما يعنيه من "النظام" ليس مجرّد تناسب، حيث يقول: «قد صنَّف بعض العلماء في تناسب الآيات والسوَر، أما الكلام في نظام القرآن فلم أطَّلِع عليه، والفرق بينهما أنَّ التناسب إنما هو جزء من النظام. فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحدا مستقلًا بنفسه، وطالِب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئا واحدا، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها؛ فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بِالتي قبلها على بُعد منها»[53].

ويوضّح: «وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلا واحدا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بِالتي قبلها أو بعدها على بُعد منها...فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السورة معترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كلّه كلاما واحدا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأوّل إلى الآخر...فتبين مما قدّمنا أنّ النّظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء»[54].

ولقد حاول "الفراهي" تطبيق نظريته في "النظام"، التي عرض لها نظريا في كتابه "دلائل النظام"، وطبّق لها في كتابه القدير "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، وأنجز بالفعل تفسير عدد من السوَر، اختارها قصدًا؛ لما أُشكل من نظامها أو أساليبها على كثير من المفسّرين، وليحاول، من ثَمَّ، تطبيق نظريته عمليا.

وكانت سبيله في معرفة النظام على الكيفية التي بيَّن في "دلائل النظام"، تبدأ بالسعي إلى استخراج ما سماه: "عمود السورة"، الذي يعني به: "العنوان الرئيسي للسورة من القرآن"؛ فمعرفته تؤدي إلى معرفة نظام القرآن كله[55]، ولم يكن يعتمد في استخراج هذا العمود على حشد الأقاويل والروايات التي تملأ كتب التفسير؛ بل كان يعمد مباشرة إلى تدبر القرآن والنظر في معانيه وأهدافه نظرَ المطلع الخبير؛ ليهديه هذا التأمل المجرد إلى معرفة العمود، ومن ثَمَّ إدراك النظام.

وقد صرّح بصعوبة هذه العملية المعرفية لاستخراج "عمود السورة"، ثم عدّد أهمّ أسباب هذه الصعوبة، والتي يمكن تلخيصها عنه في كون القرآن نزل متشابها مثاني، وأنّ الكتاب نزل بالحكمة التي لا تتأتى بمجرد إلقاء المعارف، بل بإعمال الفكر والعقل، ثم كون ما جاء به القرآن من نهاية الإيجاز هو مدار الإعجاز[56].

ولقد بيّن "الفراهي" أهمية معرفة نظام القرآن والربط بين أجزائه، ودوره في الوصول إلى بعض أسرار القرآن، ومعانيه ولطائفه، فهو يعْدِل عنده نصف القرآن، فمن فاته النظام والربط فاته شيء كثير من فهم روح القرآن، فبالنظام يتبيّن سمت الكلام، والانتفاع بالقرآن، والاستفادة من موقوفه على فهمه، ولا يمكن فهم الكلام إلا بالوقوف على تركيب أجزائه، وبيان تناسب بعضها لبعض؛ لأنّ الاطّلاع على المراد من معاني الأجزاء لا يتأتّى إلا بعد الوقوف على الناحية التأليفية ومواقع كل جزء منها، فقد قال: «فإن غفلنا عما يهدي إليه النظام غفلنا عن حظ وافر من كتاب الله، وجعل حقيقة الربا خلاف حقيقة الزكاة وآذنَ بحرب آكل الربا فكذلك مانع الزكاة»[57].

❖ ومن مظاهر الحبك أيضا مسألة "التناص" (Intertextuality)[58]، ويعني به اللّسانيون أنْ يكون معنى نص ما موجودا في نص آخر من داخله أو من خارجه.

والتناص في القرآن يمكن أن يمثلّه قولهم عبارة "تفسير القرآن بالقرآن"، قال "الزركشي": «أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ قَدْ فُصِّلَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اخْتُصِرَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ بُسِطَ فِي آخَرٍ، فَإِنْ أَعْيَاكَ ذَلِكَ، فَعَلَيْكَ بِالسُنَّةِ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ أَوْ مُوَضِّحَةً لَهُ...»[59].

فهذه أهم مظاهر الحبك التي جاءت عند علماء القرآن وبيانه وعند المفسِّرين، قدمناها مقتضبة، واكتفينا فيها بما يخدم موضوعنا. والأمر الذي توصّلنا إليه أن من شأن الحبك في النص القرآني أنّه يؤكّد على تآلف الأجزاء القرآنية التي تبدو متغايرة أو متناقضة، ومن شأنه أن يسهم في تحقيق القراءة الشاملة للنص القرآني ويؤدّي إلى القراءة الصحيحة للنص القرآني التي تعصم من الزلل، فالوقوف على ما يؤدي إلى ترابط النص القرآني تفيد أنّ النص القرآني كله بنْية واحدة، وتجنّبه القراءة التجزيئية التي جانبت في كثير من المواضع المعنى المراد من كلام الله تعالى.

ولهذا كان "الفراهي" يقول في جدوى نظريته التي تعرف بـ"نظام القرآن"، إني رأيت جلّ اختلاف الآراء في التأويل من عدم التزام رباط الآيات، وإني رأيت الملحدين قد طعنوا في القرآن من جهة سوء النظم، فبالنظام يتبين سمت الكلام فينفي عن آيات الله أهواء المبتدعين، وانتحال المبطلين، وزيغ المحرفين[60].

لقد فتحت لسانيات النص آفاقا جديدة للبحث في وسائل الحبك في القرآن الكريم، وجعلت الباحثين فيه على ضوئها يلتفتون من جديد إلى جهود علماء القرآن والبلاغة والبيان والمفسرين، والتنقيب فيها لمعرفة ما توصلوا إليه في هذه المسألة، ولقد كانت هذه الجهود فيما مضى حبيسة هذه المؤلفات، لا يستطيع أحد أن ينتفع منها ولا أن يجليها لغيره، بل حتى إدراك أهميتها، لكن اليوم بفضل لسانيات النص أصبحت لهذه الجهود قيمة كبيرة في إعادة قراءة النص القرآني قراءة جديدة، مفيدة توصلنا إلى الوقوف على معاني وأسرار ولطائف في القرآن. وما على الباحثين اليوم إلا بذل المزيد من الجهد للكشف عن وسائل جيدة في الحبك للنص القرآني.

3)- السياق المتعلق بالنص القرآني (الربط التداولي): إن السياق في رأي "براون" و"يول" هو كل المعطيات المحيطة بالنص، ونعني بها كل المعلومات عن المتكلم، والمخاطب، والرسالة، والزمان والمكان، ونوع الرسالة، أي هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي، فكلما توفر المتلقي على هذه المعلومات، فقد توفرت له حظوظ قوية لفهم الخطاب وتأويله، أي وضعه في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى[61].

فـ"براون" و"جورج يول" يؤكدان على ضرورة أن يأخذ محلل النص السياقَ بعين الاعتبار، لأنّه يؤدِّي دورا فاعلا في تحليل الخطاب، فكثيرا ما يؤدِّي قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين، والسياق لديهما يضمُّ الأطراف الثلاثة التالية: المتكلم، والمتلقي، والزمان والمكان.

ولقد اعتنى المفسّرون وعلماء القرآن بدارسة السياق اللغوي والمقامي لاستنباط الدلالات الحقيقية والمجازية، وأجادوا عندما طبقوه على نصوص القرآن الكريم، ومما يمكن أن نبحثه كسياق بالنسبة للنص القرآني، وفق هذا المنظور في لسانيات النص، الاعتماد على معهود العرب في كلامهم، وتجنّب تفسير القرآن بغير الخطاب الذي عرفه به العرب قبل النزول وحين نزوله، وهذه المسألة اعتنى بهما علماء التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ومما يندرج تحت هذا الباب كذلك معرفة المخاطَب، المتوجّه إليه بالكلام والحدود الفاصلة بين المخاطَبين إذا تعددوا.

وينهض بالسياق القرآني عِلْمان مهمان، هما علم معرفة أسباب النزول، وعلم معرفة المكي والمدني. وبأسباب النزول يتمكّن المتلقي من معرفة العلاقة بين جزء محدد من النص (الآية) أو أكثر والواقع الخارجي، الذي هو سبب نزول النص.

ولقد اعتنى المفسرون بأسباب النزول وأفردوا له مصنفات، وله فوائد، منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وتخصيص الحكم به عند من يرى بأن العبرة بخصوص السبب، ومنها فهم معنى الآيات، ومنها دفع توهم الحصر، ومنها إزالة الإشكال[62].

وأما معرفة المكي والمدني فيمكّن المتلقي من استيعاب السياق التاريخي والاجتماعي الذي به اختلف الخطاب المكي عن المدني، ومن فوائده، كما قال "الزركشي" أن يسهم في معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات القرآنية، ففي تعريف المكي والمدني، يقول "الزركشي": «المَكِّي مَا وَقَعَ خِطَابًا لأَهْلِ مَكَّةَ، وَالمَدَنِي مَا وَقَعَ خِطَابًا لأَهْلِ المَدِينَةِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ "ابْنُ مَسْعُودٍ" الآتي: لأَنَّ الغَالِبَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ الكُفْرُ فَخُوطِبُوا بِـ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ"، وإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ دَاخِلاً فِيهَا، وَالغَالِبُ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ الإِيمَانُ فَخُوطِبُوا بـ"يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا"، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ دَاخِلاً فِيهِمْ»[63].

لقد اختلف الخطاب المكي عن المدني لاختلاف المخاطبين في كل منهما، وهذا ما استشعره الرعيل الأول من الصحابة، ويبدو أن تلك الإشارة لـ"ابن مسعود" قد وجّهت الباحثين قديما وحديثا إلى خصوصية هذا المعطى الأسلوبي الذي به تفترق المرحلتان المكية والمدنية. وهذا ما دفع "الزركشي" إلى محاولة الإحاطة بالخصائص الأسلوبية والموضوعية لهذين الخطابين (المكي والمدني)، ومما جمع في ذلك؛ كل سورة فيها "يا أيها الناس" وليس فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي مكيَّة، وفي "الحجّ" اختلاف، وكل سورة فيها "كلاّ" فهي مكيّة، وغير ذلك[64].

أما الاهتمام بنوع الخطاب في النص القرآني، من حيث مصدره ومنتهاه، فقد حفل به العلامة "الفراهي"، حيث خصّه بحديث مهمّ في كتابه "تفسير نظام القرآن"، فقال: «...وكذلك السؤال فيمن إليه الخطاب، فإن للخطاب جهتين: ممّن؟ وإلى من؟ وكلتاهما ربما عام والمراد خاص، وربما يعكس الأمر. وإذ يختلف المعنى كثيرا باختلاف جهتي الخطاب، وعمومه، وخصوصه...»[65].

وفي أهميّة هذه المسألة وأثرها على تأويل القرآن، يقول: «واعلم أن هذا العلم طرف من علم توجيه القول العام إلى جهته الخاصّة، ومن لم يعلم جهة الكلام لا يصيب تأويله الصحيح، فكان ذلك مفتاحا لفهم تأويل ونظم الحديث، والجهل به من أكبر مثارات الخبط والتخليط، وتقليب المعنى...ولأنّ مسألة الخطاب تكشف عما اشتبه على أكثر المفسرين، فهي جديرة بأن نتكلم فيها على حدة»[66].

ثمّ حدّد أهمَّ السبل الكفيلة بتحديد الخطاب المحتمل في القرآن، فرآها تتمثل في معرفة صفات الله، ومعرفة صفات النبي، ونسبة النبيّ إلى ربّه وأمّته، معرفة تدبيره في الخطاب ودعوة الناس، وفي هذا الباب يستدل بالعقل الصريح، ونظم القرآن، والصحف الأولى[67].

وقد انتهى الأمر بـ"الفراهي" إلى تحديد وجوه الخطاب القرآني، وجعل لها مصدرا ومنتهى، فقال: «اعلم أنّ للخطاب مصدرا ومنتهى؛ فالمصدر إمّا هو الله تعالى، أو جبريل، أو الرسول، أو الناس. وأمّا المنتهى فهو الله

تعالى، أو الرسول، أو الناس، والناس إمّا المؤمنون، أو المنافقون، أو أهل الكتاب، أو ذرية إسماعيل، أو اثنان منهم، أو ثلاثة، أو أجمعهم. وأهل الكتاب إمّا اليهود، وإمّا النصارى، أو كلاهما، فهذه ظواهر الوجوه»[68].

وأكثر ما يقع الالتباس في هذا الخطابات، لأنه لا حدود لاتجاهي الخطاب، فلم يوضّح ذلك بعبارة: "قال"، "قلنا"، "قل"، ونحو ذلك، وقد وضّح "الفراهي" ذلك بالمثالين التاليين[69]:

– فقد يقع الالتباس في المصدر بين خطاب الله تعالى والرسول وجبريل، والقاعدة التي تؤمّن اللبس في ذلك بأن إيراد الكلام صريحا من الله يعطي الخطاب جلالة وهيبة وقوة، فلا نراه إلا عند الحاجة، قال "الفراهي": سورة "العلق" كلامٌ بلسان جبريل أولا، حتى بلغ مقام الغضب، جاء الكلام من الله تعالى صريحا: ﴿كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[70].

– وأمّا الالتباس في المنتهى فيقع بين خطاب النبي والمؤمنين، فربّما يخاطب الله النبيَّ ووجه الخطاب إلى الأمّة، فإنّ النّبيَّ هو وكيل من الأمَّةِ إلى الله فهو لسانهم وسمعهم، ونعلم مِن سياق القرآن من هو المخاطَبُ، ففي سورة التوبة: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾[71]، فمعناه إن تصب المؤمنين، كما صرّح في الجواب: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[72].

فالسياق القرآني حسب "الفراهي" هو معيار حاسم، من بين عدّة معايير، في معرفة من المتحدِّث ومن المخاطَب بهِ في النصّ القرآني.

فالاهتمام بعناصر وملابسات السياق، بهذا المنظور عند علماء القرآن، يقترب كثيرا مما انتهت لها نظريات تحليل الخطاب المعاصرة، كما رأينا عند "براون" و"يول". ولكن يبقى السياق القرآني وخطابه بحاجة إلى كثير من الدرس والبحث والتنقيب، وهناك كثير من المسائل التي نبهت إليها لسانيات النص، إن استضيء بعطاءاتها فستفيد الباحثين في تجلية السياق القرآني، للوصول إلى من معاني ولطائف للقرآن تجعلنا نقترب كثيرا من تأويله التأويل الصحيح.

الخاتمة.

بعد الخوض في ثنايا البحث في مباحثه الثلاثة، يحسن بنا أن نقدم في هذه الخاتمة ثماره، وفيما يلي أهمها:

– إن المقاربة اللسانية للنص القرآني تلامس النص القرآني من داخله كبنية نصية لها ملابساتها الخاصة بها، كما أن لسانيات النص تعترف بخصوصيات النصوص، فلكل نص نحوه وقواعده الخاصة، فالنص هو من يصنع قواعده من داخله.

– تسهم لسانيات النص في تأكيد نصية النص القرآني، وتكشف تحقق انسجام أجزائه وتآلفها، وفي هذه المسألة يكمن جزء كبير من الإعجاز القرآني. ولا تطرح المقاربة اللسانية للنص القرآني أية إشكالات للنص القرآني، فهي لا تتعارض مع مقاصده، بل هي التي تجلّي روعة لغته العالية وبيانه المعجز، خاصّة إذا علمنا أن هذه المقاربة لها ممارسة عميقة وجادّة ومتميّزة في التراث البياني والبلاغي والتفسيري.

– إن أي قراءة لسانية–نصية للقرآن الكريم يجب أن تكون في ضوء خصوصيات القرآن، حسبما عرّفه به علماء القرآن، وفي ضوئها يتبين جيدا خصوصية الخطاب القرآني، فهو منزّل من الله تعالى بشكل قبلي، ثم أنزل مرّة أخرى على النبي صلى الله عليه منجّما، ونزل بلغة العرب وبمعهودهم في كلامهم، ولكنه يمثّل أعلى مستوى بياني وإعجازي فيها، وهو موجّه إلى الناس جميعا، وبه مواقف خاصة لمخاطبين.

– يعود الفضل إلى لسانيات النص بالمقاربات الحديثة في كونها أعادت الاعتبار للجهود النصية في التراث العربي، الذي كان مهملا، ولم يقدَّر حق قدره، وهذا يعني أنّ أي دراسات نصيّة للقرآن الكريم اليوم، يجب أن تأخذ في اعتبارها جهود علماء البلاغة والإعجاز القرآني.

– إنّ قراءة النص القرآني بمقاربة لسانية–نصية والبحث في مظاهر اتساقه وانسجامه، تسهم في دفع الشبهات التي دارت حول القرآن الكريم، في أنّه خلاف ما يوحي به ظاهره للبعض بأنّه مفكك لا تنتظمه أيّ وحدة، وأنّه عبارة عن تعاليم وطقوس لا وجود لخيط ناظم يجمع بينها، فإثبات تماسك النص القرآني يثبت أنّه تنتظمه وحدة من نوع خاص تمثل فرادته وإعجازه، إنها الوحدة النسقية.

– ندعوا الباحثين إلى بذل مزيد من الجهود لتعميق الدراسات في لسانيات النّص، وندعو إلى استحداث لسانيات وأنحاء للنصوص المقدّسة، نظرا لخصوصيات هذه النصوص في نوعية خطابها، ومنتجها ومتلقيها، وسياقها الخاص بها، ولملابساتها التي تحيط بإنتاجها.

والحمد لله على ما منَّ به، والسلام عليكم.

حواشي البحث:

[1] Crystal : A Dictionary of Linguistics and Phonatics, p481-482.

[2] ينظر: الفقّي، علم اللغة النصي، 36/1.

[3] ينظر: البحيري، علم لغة النص، ص73.

[4] فانديك، علم النص، ترجمة: البحيري، ص11-12.

[5] ينظر مثلا "دي بوغراند" في كتابه: النص والخطاب والإجراء، ترجمة حسّان، ص64-67.

[6] ينظر: Beaugrand and Dresler, Introduction to Text Linguistics, P16.

[7] ينظر: فانديك، النص والسياق، ترجمة: قنيني، ص17-25.

[8] ينظر: البحيري، علم لغة النص، ص19.

[9] ينظر: أورزينياك، مدخل إلى علم النص، ترجمة: البحيري، ص22.

[10] ينظر: هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ترجمة: البحيري، ص228.

[11] نفسه، ص231.

[12] ينظر: البحيري، علم لغة النص، ص133.

[13] ينظر: دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسّان، ص95.

[14] يرى "سعيد البحيري" أنه لا يشترط أن تتوفر جميع هذه المعايير السبعة في النص حتى تثبت للنص نصيته، ولكن يتحقق الاكتمال النصي بتوفرها، وأحيانا تتشكل نصوص بأقل قدر منها. (ينظر: علم لغة النص، ص146).

[15] ينظر: دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسّان، ص103-105.

[16] نفسه، ص86.

[17] Halliday & Hasan, Cohision in english.

[18] ينظر: هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ترجمة: البحيري، ص243-244.

[19] ينظر: دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسّان، ص86.

[20] ينظر: هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ترجمة: البحيري، ص244.

[21] في مفهوم الوحدة البنائية للنص القرآني، خاصة منها فيما يتعلق بمفهومها عند علماء البيان، ينظر: العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، ص55، وما بعدها.

[22] الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص9.

[23] ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة: الزلطيني والتريكي، ص35.

[24] ينظر: دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسّان، ص103، 136.

[25] Halliday. M.A.K & Ruqaiya Hasan, Cohision in English, p2.

[26] ينظر: مصلوح، "نحو أجرومية للنص الشعري"، مجلة فصول، المجلد10، العددان1و2، ص157.

[27] سورة "البقرة"، الآية رقم98.

[28] الطبري، جامع البيان، 6/1-7.

[29] ينظر: فانديك، النص والسياق، ترجمة: قنيني، ص96 وما بعدها.

[30] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص190.

[31] نفسه، ص194.

[32] الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص81.

[33] نفسه، ص392.

[34] حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص188.

(35) ينظر: الفراهي، أساليب القرآن، ص06.

(36) نفسه، ص156.

(37) نفسه، ص144.

(38) سورة "البقرة"، الآية رقم39.

(39) سورة "البقرة،" الآية رقم121.

(40) الفراهي، أساليب القرآن، ص176-177.

(41) ينظر: مصلوح، "نحو أجرومية للنص الشعري"، مجلة فصول، المجلد10، العددان1و2، ص154.

(42) السيوطي، الإتقان، ص630.

(43) السيوطي، الإتقان، ص630.

(44) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: الدمياطي، ص36.

(45) نفسه، ص39-48.

(46) نفسه، ص39-48.

(47) سورة "الأنفال". الآيتان: 4 و5.

(48) الزركشي، البرهان، تحقيق: الدمياطي، ص44-45.

(49) سورة "البقرة"، الآية رقم6.

(50) الزركشي، البرهان، تحقيق: الدمياطي، ص47.

(51) نفسه، ص664-665.

(52) نفسه، ص664-665.

(53) الفراهي، دلائل النظام، ص74.

(54) نفسه، ص75.

(55) نفسه، ص72-74.

(56) نفسه، ص77 وما بعدها.

(57) الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص59.

(58) يكاد يجمع النقاد على أن صاحب هذا المصطلح الناقدة البغارية "جوليا كريستيفا"، في دراساتها النقدية بين عامي 1965 و1967، ولكنها أشارت إلى أن صاحب الفضل في وجود الظاهرة هو "ميخائيل باختين" في مجموعة من كتبه.

(59) الزركشي، البرهان، تحقيق: الدمياطي، ص432.

(60) ينظر: الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص17-18.

(61) ينظر: "براون" و"يول"، تحليل الخطاب، ترجمة: الزلطيني والتريكي، ص35.

(62) ينظر: الزركشي، البرهان، تحقيق: الدمياطي، ص28-32.

(63) نفسه، ص132.

(64) نفسه، ص132-134.

(65) الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص64.

(66) نفسه، ص64-65.

(67) ينظر: الفراهي، أساليب القرآن، ص157.

(68) الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص65.

(69) نفسه، ص65.

(70) سورة "العلق"، الآيتان: 15و16.

(71) سورة "التوبة، الآية رقم50.

(72) سورة "التوبة، الآية رقم51.

ببليوغرافيا البحث.

- القرآن الكريم، برواية حفص.

أولا: الكتب بالعربية.

01- الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، السيد، دار المعارف، القاهرة-مصر، دت.

02- براون، جيليان & يول، جورج، تحليل الخطاب، ترجمة: الزلطيني، محمد لطفي & التريكي، منير، جامعة الملك سعود، ط1، الرياض-السعودية، 1997.

03- البحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، لنجمان، القاهرة-مصر، 1997.

04- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: شاكر، محمود محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 2004.

05- دي بوغراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، عالم الكتب، القاهرة-مصر، 1998.

06- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: الدمياطي، أبو الفضل، دار الحديث، القاهرة-مصر، 2006.

07- العلواني، طه جابر، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة-مصر، 2006.

08- فاندايك، تون، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: البحيري، سعيد حسن، دار القاهرة للكتاب، القاهرة-مصر، 2001.

09- فاندايك، تون، النص والسياق، ترجمة: قنيني، عبد القادر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2000.

10- الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، الهند، 2008.

11- الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، الدائرة الحميدية، الهند، 1388هـ.

12- الفراهي، عبد الحميد، أساليب القرآن، ضمن كتاب رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، الدائرة الحميدية، الهند، 1411هـ-1991م.

13- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة-مصر، 2000.

14- هيلبش، جرهارد، تطور علم اللغة منذ عام 1970، ترجمة: البحيري، سعيد حسن، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة-مصر، 2007.

15- أورزينياك، زتسيسلاف، مدخل إلى علم النص، تعريب: البحيري، سعيد حسن، مؤسسة المختار، القاهرة-مصر، 2003.

ثانيا: المقالات بالدوريات العلمية.

16- مصلوح، سعد، "نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية"، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان1و2، [جويلية وأوت، 1991]، ص151-166.

ثالثا: الكتب باللغة الإنجليزية.

17- Crystal, David, A Dictionary of Linguistics and Phonatics, Blackwell publishing, Oxford, UK, 6th ed, 2008.

18- De Beaugrand, Robert & Wolfgang U, Dresler, Introduction to Text Linguistics, London, 6ed, 1992.

19- Halliday. M.A.K & Hasan, Ruqaiya, Cohision in English, Longman Group, London, 1976.